الهدايات القرآنية
وأثرها في الرقي الأخلاقي حال الخلاف
"دراسة موضوعية"

إعداد

د/ سلطان بن صغير بن نايف العنزي

الأستاذ المشارك في التفسير وعلوم القرآن

بقسم الدراسات الإسلامية، في كلية العلوم الإنسانية

والاجتماعية بجامعة الحدود الشمالية -عرعر- السعودية

الهدايات القرآنية وأثرها في الرقي الأخلاقي حال الخلاف
"دراسة موضوعية"

سلطان بن صغير بن نايف العنزي
قسم الدراسات الإسلامية، التفسير وعلوم القرآن في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الحدود الشمالية ، عرعر، المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: Dr.sultan2950@gmail.com

الملخص :

يهدف البحث إلى تعريف الرقي الأخلاقي، لغةً واصطلاحاً، وبيان أهميته في حياة الناس، وأن الأخلاق تمثل ثلث الدين الإسلامي، كما يهدف إلى إبراز الهدايات القرآنية التي تسهم في رقي الأخلاق لدى المسلم، حال الخلاف، وسواء أكان خلافه مع أخيه المسلم القريب أم البعيد، أم كان خلافه مع غير المسلم، كالمعاهد والمستأمن أم الحربي، كما يبين أثر التزام المسلم بهذا الرقي الأخلاقي، وما له من عواقب حميدة على الفرد والمجتمع.
والمنهج المتبع في هذا البحث: هو منهج الاستقراء والتتبع والتحليل، وجاء البحث مقسماً إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين ثم خاتمة وفهارس.
وخلص الباحث إلى عدة نتائج، من أهمها: أن الإنسان مأمور بالتزام الرقي الأخلاق في جميع حالاته، مع جميع الناس، وأن الآيات الآمرة بذلك محكمة غير منسوخة، وعامة وباقية على عمومها على الراجح من قولي أهل العلم، وأن الهدايات القرآنية أشارت إلى حلول مشاكل المجتمع كلها، كما أوصى بدراسة الهدايات القرآنية المؤثرة في الرقي الأخلاقي في قصص الأنبياء عليهم السلام، ودراسة الهدايات القرآنية المؤثرة في الرقي الأخلاقي في تعامل المسلم مع الأعداء والمخالفين.

الكلمات المفتاحية : الهدايات القرآنية، الرقي الأخلاقي، أدب الخلاف.

Quranic gifts and their impact on moral sophistication in the event of disagreement "A Substantive study"

Sultan bin Kabir bin Nayef Al-Anzi
Department of Islamic Studies, Interpretation and Quranic Sciences in the Faculty of Humanities and Social Sciences of Northern Border University, Arar, Saudi Arabia
Email: Dr.sultan2950@gmail.com

Abstract:

The research aims to define moral advancement, language and terminology, and to demonstrate its relevance to people's lives and that morality represents one third of the Islamic religion, and also aims to highlight Quranic gifts that contribute to the morality of the Muslim In case of disagreement, whether or not he disagreed with his Muslim brother or disagreement with non-Muslims, such as the contractor, the insured or the warrior s commitment to this moral advancement and its good consequences for the individual and society.

The approach used in this research is to extrapolate, to follow up, and to analyze, and the research is divided into an introduction, a preface, two sections, and then a conclusion and indexes.

The researcher has reached several results, the most important of them is that human beings are obligated to stick to morality in all of his cases, with all people, and that the verses which support that are restrict not copied, general, or preponderant in all cases according to the statements of the scholars. The Quranic gifts have referred to solutions to the problems of all society, and also recommended that Quranic gifts influencing moral sophistication to should be studied in the stories of prophets on them in addition to the study of Quranic gifts influencing moral advancement in the Muslim's dealings with enemies and offenders.

Keywords: Quranic Gifts, Moral Advancement, Politeness Of Disagreement.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد الله رب العالمين، الذي أنزل كتابه المبين، على رسوله الأمين ﷺ، وجعله رحمة للعالمين، فأخرج الناس من ظلمات الجهالة، إلى نور الهداية، ومن ظلم الغواية، إلى عدل الإسلام وكتابه وآيه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، الذين نشروا الإسلام في الآفاق، فساد السلام وفاق، وأظهروا للبشرية سماحة الدين، ووجهه المشرق أيما إشراق، بما اكتسوه من مكارم الأخلاق، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم التلاق.

أما بعد، فإنما الأمم بأخلاقها، فهي علامة سعادتها أو شقاوتها، وأمارة تقدمها أو تخلفها، ولما أراد الله ﷻ لهذه الأمة الرفعة والسمو، والتقدم والسناء، جعل دستورها أعظم دستور وأكمله، وأعمه وأشمله، فأكد على مكارم الأخلاق، وأمر بها قبل كثير من الأحكام والتشريعات، وجعلها عنوان رسالة محمد ﷺ، فكأنما أضحت غاية مبعثه، بإفادة الحصر المتقدم في قوله ﷺ في بداية دعوته: ((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق))[1]، قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويدخل في هذا المعنى: الصلاح والخير كله، والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل، فبذلك بُعث ليتممه ﷺ، وقد قال العلماء: إن أجمع آية للبر والفضل ومكارم الأخلاق: قوله ﷻ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ {النحل: ٩٠}»[2].

(١) رواه أحمد في "المسند" (٥١٣/١٤) رقم (٨٩٥٢) وصححه محققو المسند، والألباني في "السلسلة الصحيحة" (١١٢/١) رقم (٤٥).

(٢) التمهيد (٣٧/٢٢).

فجاءت الأخلاق لتمثل ثلث الشريعة، إذ هي مكونة: من عقائد، وعبادات ومعاملات، وأخلاق وسلوك.

فلا غرو إذن أن تكثر الآيات الحاثة على التمسك بمكارم الأخلاق، وتنهى عن سفسافها، وتأمر المسلم أن يعامل الناس بأخلاقه، لا بأخلاقهم، عكس ما كان عليه طوائف من أهل الجاهلية، الذين كان منهجهم: ... ومَنْ لا يَظْلِمِ الناسَ يُظْلَمِ[1].

ومبدؤهم: ... فَنَجْهَلَ فوقَ جَهْلِ الجَاهِلِينا[2].

كلا، بل شأن المسلم: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ {النور: ٢٢}.

فكان المسلم سفيراً للإسلام في كل مكان، داعية إليه بالسلوك والتعامل، إذ ذلك من أعظم مفاتيح القلوب، فالناس بفطرتها تميل إلى كل ذي خلق كريم، وتنفر من ذي طبع ذميم.

وإن مما ينبغي لأهل القرآن أن ينشروا هذا النور في الناس، ويُعرفوهم بكنوز هذا الكتاب الكريم، الذي لم يُنزل على البشرية مثله، في وقت عمّت فيه الفوضى الأخلاقية في كثير أصقاع الأرض، واضطربت فيه قوانين الأخلاق، بين إفراط وتفريط، وبين غلو وجفاء، مناقضةً الفطر السليمة، والعقول المستقيمة؛ فجاء القرآن بمبادئه وتعاليمه: وسطاً خياراً عدلاً، بنص صريح، يوافق العقل الصحيح، فكان نوراً على نور.

ولما كان موضوع الأخلاق في القرآن الكريم موضوعاً واسعاً لا يمكن

---

(١) هذا عجز بيت لزهير بن أبي سلمى من معلقته الشهيرة؛ وصدر البيت: ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه***يهدم... انظر معلقته في: شرح المعلقات السبع، للزوزني (ص١١٤).

(٢) هذا عجز بيت لعمرو بن كلثوم من معلقته الشهيرة؛ وصدر البيت: ألا لا يجهلن أحد علينا ... انظر معلقته في: شرح المعلقات السبع، للزوزني (ص١٢٨).

الإحاطة به، رأيت –بعد الاستخارة والاستشارة– أن أكتب في جانب خاص منه، وهو "**الهدايات القرآنية وأثرها في الرقي الأخلاقي حال الخلاف**".

وكما هو معلوم فإن الخلاف لا يخلو من حالتين:

الأولى: خلاف المسلم مع أخيه المسلم، سواء أكان ذا صلة وقرابة، أم كان بعيداً.

الثانية: خلاف المسلم مع غير المسلم، سواء أكان حربياً أم غير حربي، كالمعاهد والمستأمن.

وكل حالةٍ قد أولاها القرآن الكريم عناية عظيمة وتوجيهاً وإرشاداً، بما يضمن –لمن امتثلها– بلوغَه درجةَ الرقي الأخلاقي، مع ما له من حسن العاقبة، في الأولى والآخرة.

وأسأل الله الكريم الجواد التوفيق والإعانة والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث من ثلاثة جوانب:

الأول: أهمية الموضوع المتناول بالدراسة وهو الأخلاق عموماً، والتحلي بأرقى الأخلاق وقت الخلاف خصوصاً، وحاجة الناس إلى الأخلاق أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب.

الثاني: مصدر الموضوع، وهو الهدايات القرآنية، إذ إن في دراسة الهدايات القرآنية، تطبيقاً عملياً للتدبر الذي أمرنا الله تعالى به، وبحثاً عن لطائف المفسرين، ودررهم العلمية المودعة في كتبهم.

الثالث: الأثر المنشود من هذا البحث، وهو الإسهام في علاج بعض المشاكل الاجتماعية من خلال إبراز الهدايات القرآنية المتعلقة بها.

إشكالية الدراسة:

تكمن إشكالية الدراسة في حاجة المسلمين إلى إبراز الهدايات القرآنية، التي تضمن بلوغهم الرقي الأخلاقي حين امتثالها، بما يعكس صورة عظيمة

للإسلام وأهله، ويسهم في الدعوة إليه، وذلك من خلال الإجابة على الأسئلة التالية:

- ما الهدايات القرآنية المؤثرة في الرقي الأخلاقي حال الخلاف مع المسلم؟
- ما الهدايات القرآنية المؤثرة في الرقي الأخلاقي حال الخلاف مع غير المسلم؟

أهداف البحث:

للبحث هدف عام وهو : إيضاح أثر الهدايات القرآنية في الرقي الأخلاقي لدى لمسلم حال وجود خلاف، سواء أكان خلافه مع أخيه المسلم، أم مع غير المسلم، وذلك من خلال:

- بيان الهدايات القرآنية المؤثرة في الرقي الأخلاقي حال الخلاف مع المسلم.
- بيان الهدايات القرآنية المؤثرة في الرقي الأخلاقي حال الخلاف مع غير المسلم.

الدراسات السابقة:

لم أقف على بحث علمي درس الموضوع وما اشتمل عليه من مباحث، وإنما وقفت على بعض الدراسات التي تشابهه من جانب، وتخالفه من جوانب، وهي كما يلي:

١. أدب الاختلاف في الإسلام، إعداد: د.طه جابر العلواني، وهو ضمن منشورات رئاسة المحاكم والشؤون الدينية في قطر، سنة ١٤٠٥هـ، وتحدث فيه الباحث عن أسباب الاختلاف، ثم درس الاختلافات العقدية والفقهية، ولم يتطرق لشيء مما في بحثي هذا.
٢. ثقافة الاختلاف من منظور الكتاب والسنة، إعداد: أ.د.عبدالتواب عبدالإله، أ.د. عمر محمد مرسي، وهو ورقة بحثية منشورة في المجلة التربوية للتعليم–كلية التربية– جامعة أسيوط، ج٤، عدد(١) يناير

٢٠٢٢م، وهو بحث تربوي مغاير لبحثي التفسيري.

٣. ألفاظ الخلاف والاختلاف ودلالاتها في القرآن الكريم، إعداد: د.نايل ممدوح أبو زيد، بحث منشور في مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، مج٣٢، ع٥، وهو بحث يعالج جمال استعمال القرآن للفظتي الخلاف والاختلاف ويبين مفهومها وأنواعهما والفروق بينهما، ولم يتطرق للمباحث التي درستها في هذا البحث.

٤. من هدي القرآن في علاج الخلافات الزوجية، إعداد: فتحي موسى، بحث منشور في مجلة الوعي الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، س٤٤، ع٤٩٩، سنة ٢٠٠٧م، وهو بحث تطرق فيه الباحث لجزئية يسيرة من بحثي، وهي ما يتعلق بالخلاف بين الزوجين، ولكن هناك اختلاف كبير بينه وبين بحثي، في الآيات المدروسة وطريقة الدراسة، واستراتيجية البحث.

وهناك بحوث أخرى مغايرة تماماً لبحثي، لم أشر إليها رغبةً في الاختصار، وكي يتناسب العرض مع طبيعة هذا البحث، إذ إن التوسع من شأن رسائل الماجستير والدكتوراه.

<u>خطة البحث:</u>

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: تشتمل على أهمية البحث، وإشكالياته وتساؤلاته، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وإجراءاته.

التمهيد، وفيه:

أولاً: تعريف الرقي الأخلاقي.

ثانياً: أهمية الرقي الأخلاقي في حياة الناس.

المبحث الأول: الهدايات القرآنية المؤثرة في الرقي الأخلاقي حال الخلاف مع المسلم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الهدايات القرآنية المؤثرة في الرقي الأخلاقي حال الخلاف مع المسلم القريب.

المطلب الثاني: الهدايات القرآنية المؤثرة في الرقي الأخلاقي حال الخلاف مع المسلم البعيد.

المبحث الثاني: الهدايات القرآنية المؤثرة في الرقي الأخلاقي حال الخلاف مع غير المسلم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الهدايات القرآنية المؤثرة في الرقي الأخلاقي حال الخلاف مع المستأمن والمعاهد والذمي.

المطلب الثاني: الهدايات القرآنية المؤثرة في الرقي الأخلاقي حال الخلاف مع الكافر الحربي.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

تمهيد

التمهيد: وفيه:

أولاً: تعريف الرُّقي الأخلاقي:

الرُّقي –لغةً– من رَقِيَ: إذا صعد وارتفع، وسميت الدَرَجة: مرقاة، لأنه يُصعد عليها؛ ويقال: رَقِي وارتقى وتَرَقّى؛ ومنه: التَّرقِّي: أي: التنقل من حال إلى حال، حتى يبلغ غايته؛ وترقّى في العلم: ارتفع فيه درجةً بعد درجة(١).

الأخلاق –لغةً–جمع خُلُق، وهو: السَّجِيّة، والطبيعة، والسليقة، والخليقة، كلها بمعنى واحد(٢).

الأخلاق –اصطلاحاً–: هي عبارة عن هيئة للنفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى تفكير وروية(٣).

فإن كانت الأفعال الصادرة عنها حسنة، سميت: أخلاقاً حسنة؛ وإن كانت قبيحةً، سميت: أخلاقاً سيئة.

والمقصود هنا: الترقي في الأخلاق الحسنة، أي: الانتقال من حال إلى أعلى، حتى يبلغ ذروة سنام الأخلاق المعروفة شرعاً وعقلاً.

ثانياً: أهمية الرقي الأخلاقي في حياة الناس:

إن تاريخ العقيدة، والتشريع الإسلامي يؤكدان على أهمية الأخلاق، فإذا نظرنا لأركان الإسلام الخمسة، نجد أن العناية بالأخلاق، جاءت بعد التوحيد والشهادتين، وسبقت تشريع تفاصيل بقية الأركان، فقد مكث النبي ﷺ في بداية دعوته، عشرَ سنين، لا يدعو إلا إلى التوحيد، ومكارم الأخلاق، ولم تفرض عليه الصلوات الخمس إلا في السنة العاشرة، ولم تفصّل أنصبة

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٤٨/١٩)، تاج العروس للزبيدي (٦٠٦/٤) مادة: رقي.

(٢) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٥/٧) مادة: خلق.

(٣) انظر: التعريفات للجرجاني (ص١٠٥).

الزكاة إلا بعد الهجرة، وكذلك الشأن بالنسبة للصيام والحج.

فالعقيدة تصحح علاقة الإنسان بالخالق ﷻ، والأخلاق تصحح علاقة الإنسان بالخلق، وقد قُرنا في عدد من النصوص، منها: العموم المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ {البقرة:١٩٥} قال المفسرون: أحسنوا في عبادة الخالق ومعاملة الخلق[١]، وقول النبي ﷺ: ((اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن))[٢]، فالأمر بتقوى الله: إحسان في معاملته ﷻ، والأمر بمعاشرة الناس بالأخلاق الحسنة: إحسان في معاملتهم؛ فهي وصية نبوية جامعة لحقوق الله تعالى، وحقوق عباده[٣].

وللأخلاق أهمية بالغة، فهي تُظهر للناس صورة الإنسان الباطنة، كما ظهرت لهم صورته الظاهرة، وعليها المعول، لأنها تدخل تحت كسب الإنسان، وفي استطاعته، بخلاف صورته الظاهرة، فلا يد له في تغييرها، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأخلاق هي جمال الإنسان، وحقيقة الإنسانية»[٤]، بعدما قرر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن المتقين الصادقين هم من جمعوا ثلاثة أمور: العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة التي هي من آثار الإيمان، والأخلاق الحسنة؛ وهذا من كمال هذا الدين العظيم، الذي يحث على حسن الاعتقاد وحسن الأعمال وحسن الأخلاق؛ ولا يجعل الأخلاق بمنأى عن الدين، بل هي من صميم الدين وركائزه.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص٢٣٤).

(٢) رواه أحمد في "مسنده" (٣٥/ ٢٨٤) رقم (٢١٣٥٤)، والترمذي في "جامعه" (ص٦١٣) رقم (١٩٨٧) أبواب البر، باب ماجاء في معاشرة الناس، وقال: "هذا حديث حسن"، وحسنه الألباني في "صحيح الترغيب" رقم (٢٦٥٥).

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص٢٩٥).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص١٦٢).

وقد بلغ النبي ﷺ درجة الكمال البشري في الرقي الأخلاقي، وسيرته العطرة شاهدة بذلك، فكان رقيه ﷺ الأخلاقي في تعامله وخطابه دائماً، حتى مع غير المسلمين، ومن ذلك: ما أورده ابن كثير[1] في تفسيره، من حديث النبي ﷺ مع عتبة بن ربيعة لما طلبت منه قريش أن يكلم النبي ﷺ لكي يكف عنهم، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت، من السطة[2] في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم، ودينهم، وكفّرت من مضى من آبائهم، (وهذه كلها تُهم جزافٌ ليست بصحيحة، ومع ذلك كان النبي ﷺ ينصت له) ثم قال عتبة: فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك أن تقبل منها بعضها، فذكر المال والملك والزواج؛ فلما انتهى أتى الرقي الأخلاقي منه ﷺ فقال له: ((أفرغت يا أبا الوليد؟)) قال: نعم، قال: ((فاستمع مني))، قال: أفعل، فقال رسول الله ﷺ: ((بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ -فقرأ عليه سورة فصلت- ثم قال ﷺ : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك))[3]، فجمع النبي ﷺ في هذه المحادثة عدداً من أصناف الرقي الأخلاقي، حيث أنصت

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣٠٩٢/٧).

(٢) أي: المكانة والمنزلة والحسب والنسب. انظر: النهاية لابن الأثير (ص٤٢٩) مادة: سطة.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٢٠٨/١٣) رقم (٣٧٥٥٧) كتاب: المغازي، باب: في أذى قريش للنبي ﷺ وما لقي منهم، والحاكم في "المستدرك" (١٣٥/٤) رقم (٣٠٣٧) كتاب التفسير، باب من قراءات النبي ﷺ ، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي وصححه الألباني في "صحيح السيرة" (ص١٥٩).

له ولم يقاطعه، ولما انتهى بدأ بسؤاله: أفرغت؟ ثم كنّاه: أبا الوليد، ثم قرأ عليه القرآن ولم يكثر من جداله ومخاصمته، كلّ ذلك مع هدوء وسمت وعدم انفعال وغضب، كما يحصل في كثير من مواطن الجدال.

ولاشك أن هذا الأسلوب له أثر بالغ في الدعوة، فالرقي الأخلاقي يفعل في النفوس ما لا تفعله كثير من الخطب والمحاضرات والنقاشات.

المبحث الأول: الهدايات القرآنية المؤثرة في الرقي الأخلاقي حال الخلاف مع المسلم:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الهدايات القرآنية المؤثرة في الرقي الأخلاقي حال الخلاف مع المسلم القريب:

أولاً: الرقي الأخلاقي حال الخلاف مع الوالدين:

لم يخلق الله ﷻ النفوس على طبيعة واحدة، وفكر واحد، فالاختلاف في الخِلقة وما أوتيه كل إنسان من عقل وعلم وإدراك، قد يُحدث خلافاً في الآراء والأعمال، وهذا الخلاف يوجب لبعض النفوس مشقة وضيقاً وحرجاً، وهو درجات متفاوتة.

وإن من أشق الخلافات على نفس الإنسان خلافه مع والديه، ويزداد مشقة إن كان الخلاف في الدين، ثم يزداد إن كان الوالدان على غير الإسلام، والولد مسلماً، ثم تَبِعَ ذلك مجاهدة منهما له، ليرجع عن دينه، والعياذ بالله، ومع ذلك كله، فقد جاءت الهدايات القرآنية، بما يضبط تصرفات المسلم وانفعالاته، ويحثه على الرقي الأخلاقي، لعله أن يكسب قلب والديه، ويكون سبباً في إسلامهما، فقال تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥ ﴾ {لقمان:١٥}.

ذكر الله ﷻ هذا الأمر، بعدما أوصى الإنسان بوالديه، وكون الأمر جاء بصيغة الوصية يفيد شدة العناية به، لأن الوصية أن يُعهَد إلى إنسان بأمر هام[1]، ومنه الوصية عند الموت، فأوصى الله سبحانه الإنسان ببر الوالدين والإحسان إليهما وطاعتهما، لكنه بيّن حدود الطاعة، وهي أن تكون

(١) انظر: تفسير سورة لقمان لابن عثيمين (ص٨٨).

بالمعروف، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[١].

فكأن سائلاً سأل: فإن بلغ الأمر إلى حد المجاهدة على الشرك، والمجاهدة: فيها بذل الجهد واستفراغ الطاقة وزيادة المشقة والإكراه وتكرار المحاولات[٢]؛ فما السبيل في ذلك؟ فجاء الجواب: ﴿فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾ أي: لا تعطهما فيما يأمرانك به من الشرك بالله، ولكن: لا تسيء في صحبتهما، ولا تجعل مجاهدتهما لك مسوغاً للإساءة إليهما، بل ابقَ على الإحسان والمصاحبة بالمعروف، وذلك بالكلام اللين، والقول اللطيف، والتواضع لهما، وفعل الجميل معهما، وإكرامهما، وإجلالهما، والقيام بشؤونهما، واجتنب الإساءة بأي وجه كان، سواء أكان بالقول أم بالفعل أم بالإشارة، فلا تقطب لهما جبنيك، ولا تُحدّ لها بنظرك، ولا تنفض يدك وثوبك تأففاً وضجراً، إلى غير ذلك[٣].

والمقصود: أن تلتزم الرقي الأخلاقي مع الوالدين في جميع أحوالك وتصرفاتك، ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾ قوله: ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾: قيل: مدة بقائهما معك في الدنيا، فلا حد له إلا الموت؛ وقيل: ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: في أمور الدنيا صاحبهما معروفاً، أما في أمور الدين فلا تتعد ما أذن الله تعالى لك به، فأطعهما فيما لا تَبِعة عليك فيه ولا إثم[٤]، ولا تعارض بين القولين، فكلاهما مما تحتمله الآية.

فهذه الهداية القرآنية قطعت الطريق على من يسول له الشيطان ترك الأدب مع والديه، فليس شيء أعظم من المجاهدة على الشرك، ومع ذلك

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٧٣/١٦).
(٢) انظر: المفردات للراغب (ص٢٠٨)؛ تفسير سورة لقمان لابن عثيمين (ص٩٥).
(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص٩٠٠).
(٤) انظر: جامع البيان (٥٥٢/١٨).

جاء هذا التوجيه، فما كان دونه فمن باب أولى، لذا قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والآية دليل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن، من المال إن كانا فقيرين، وإلانة القول، والدعاء إلى الإسلام برفق»(١).

ومن الأمثلة على الرقي الأخلاقي حال الخلاف مع الوالدين الكافرين: جواب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيه الذي تهدده قائلاً: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾ {مريم:٤٦}، فكان جوابه أن: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾ {مريم:٤٧}، انظر إلى الغاية في اللطف، والأدب في الخطاب، والرقي في الجواب؛ وأيضاً لم يكتفِ بهذا، بل وعده بأن يستغفر له ووفى، ولكن نهاه الله لما تبين له أن عدو لله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ١١٤﴾ {التوبة:١١٤}.

ثانياً: الرقي الأخلاقي حال الخلاف بين الزوجين:

لما كانت الحياة الزوجية لا تخلو من خلافات، قد تصل إلى الطلاق، أحاط الله سبحانه هذه العلاقة بالعناية والتوجيه على أحسن وجه، وجاءت الهدايات القرآنية بالإرشاد إلى فعل الأكمل، ولزوم الرقي الأخلاقي، مهما بلغ الأمر بين الزوجين، ففي بداية الزواج لابد أن يستقر في ذهن الزوج قول الله تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ {البقرة:٢٢٩}، وهي عبارة جامعة مانعة، يدخل تحتها ما لا يحصى من الهدايات والتوجيهات، وبها تُضبط العلاقة بين الزوجين، حال الاتصال وحال الانفصال، فهي من القواعد العامة الهامة، قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «والمعروف: كل ما يُعرف في

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/٤٧٤).

الشرع، من أداء حقوق النكاح، وحسن الصحبة»[١]، وقال ابن كثير ؒ: « أي: إذا طلقتها واحدة أو اثنتين، فأنت مخير فيها ما دامت عدتها باقية، بين أن تردها إليك ناوياً الإصلاح بها والإحسان إليها، وبين أن تتركها حتى تنقضي عدتها، فتبين منك، وتطلق سراحها محسناً إليها، لا تظلمها من حقها شيئا، ولا تضار بها»[٢]؛ فهذه الآية قد أبطلت نوعاً من العدوان والظلم الذي يمارسه أهل الجاهلية ضد المرأة، وذلك أن الرجل منهم كان أحق برجعة امرأته وإن طلقها مائة مرة، ما دامت المرأة في العدة، وكان فيه ضرر كبير على الزوجات، فقصرهم الشارع على طلقتين، ثم تَبين منه في الثالثة، على ما هو معلوم من أحكام الطلاق المبثوثة في كتب أهل الفقه، ففيها تحقيق للمصلحة ودفع للمفسدة لكلا الزوجين.

ومن الآيات المشتملة على الهدايات العظيمة قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ {البقرة:٢٣٧} ففي هذه الآية من الحث على الرقي الأخلاقي، ما لا يوجد في أي نظام بشري، فإن النفوس البشرية بطبيعتها – حال الخلاف– تميل إلى استيفاء حقها كاملاً، وبعض النفوس قد تجنح إلى الانتقام والعدوان، فأرشدهم الله إلى هذا الأدب العظيم، وذكرهم بهذا التذكير الجميل، فخاطب الطرفين جميعاً، وذكرهم بسابق العهد بينهم، فإن كان قد حصل خلاف اليوم، فإنكم في السابق: قد كان بينكم ائتلاف وفضل، فولي الزوجة قد تفضل بالموافقة على تزويج موليته، والزوج قد أحسن بدفع المهر وتكاليف الزواج، والمعاشرة الكريمة وتحمل أعباء بيته، ونحو ذلك، مما هو غالب في كثير من أحوال الأزواج الأسوياء العقلاء.

ولكن الخلاف له أسباب كثيرة، والوفاق بين الزوجين قد يزول لأمور

(١) معالم التنزيل (٢٢٧/١)

(٢) تفسير ابن كثير (٥٦٥/٢).

متعددة، فحينها حذرهم الله من الظلم والمضارة، وحثهم على التزام الرقي الأخلاقي، حتى يكون الانفصال على خير حال لهما، فقال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ {البقرة:٢٣٧}، أي: وإن طلقتم زوجاتكم اللائي عقدتم عليهن قبل أن تمسوهن، وقد فرضتم لهن مهرًا محددًا، فيجب عليكم دفع نصف المهر المسمى إليهن، إلا أن يسمحن لكم عنه –إن كنّ رشيدات– أو يسمح الأزواج أنفسهم ببذل المهر كاملًا لهن، وأن تتسامحوا في الحقوق بينكم أقرب إلى خشية الله وطاعته، ولا تتركوا –أيها الناس– تفضل بعضكم على بعض، والمسامحة في الحقوق، فإن الله بما تعملون بصير، فاجتهدوا في بذل المعروف لتنالوا ثواب الله عليه(١)، قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فانظر ما في هذه الآية من الحض على مكارم الأخلاق، من الأمر بالعفو، والنهي عن نسيان الفضل»(٢).

فمن هدايات الآية: أن تكون المعاملة بين الزوجين والأقارب والأصهار، قائمة على الفضل والإحسان، ومكارم الأخلاق، وأن يكون العفو مقدماً، والمسامحة حاضرة في التعامل بينهم.

كذلك من هدايات الآية: إرشاد الإنسان إلى لزوم التقوى، والأقرب للتقوى هنا هو مَنْ امتثل الرقي الأخلاقي، فمن عفا كان هو الأقرب للتقوى، كما قاله ابن عباس ﷺ(٣)، ولذا لا ينبغي للمرء أن ينسى نفسه من الإحسان والعفو والمعروف، ولا يهمل هذه الدرجة السنيّة، والرتبة العليّة، ولو في

(١) انظر: المختصر في التفسير (ص٣٨).
(٢) أضواء البيان (٣/ ٥٣٦).
(٣) رواه عنه الطبري في "جامع البيان" (٣٣٧/٤).

بعض الأوقات، خصوصاً مع من كان له سابق معاشرة ومخالطة، ويتذكر أن هذا من الإحسان، والله سبحانه يحب المحسنين، ويجزيهم على إحسانهم(١).

ومن الآيات المشتملة على الهدايات العظيمة قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾ {التغابن:١٤}، وسبب نزول هذه الآية: أن أقواماً من المسلمين في مكة أرادوا الهجرة إلى النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم، فلما أتوا النبي ﷺ وجدوا الناس قد فقهوا في الدين، فَهَمّوا بمعاقبتهم، فأنزل الله هذه الآية(٢).

ففي هذه الآية: تحذير للمسلمين من أن يكون حب الأزواج والأولاد مانعاً لهم عن الخير، وقد يتلهى به الإنسان عن العمل الصالح، فأمرهم الله بالحذر على دينهم، ولما كان هذا التحذير قد يوهم الشدة والغلظة والعقوبة أمرهم الله بالعفو والصفح والغفران، لما فيه من المصالح العظيمة(٣).

ففي الآية من الهدايات: الدعوة إلى الاعتدال في التعامل، فيحذر المسلم من أن يحمله حب الزوجة والولد على فعل ما فيه مخالفة لأمر الله تعالى أو أمر رسوله ﷺ، مع التزام الرقي الأخلاقي العظيم في التعامل حينها، وقد قال سبحانه: ﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡ﴾، ولم يقل: فعاقبوهم، ولم يأمر أن يضروهم، فجمع بين الأمر بالحذر، مع المسالمة(٤)، فيتحلى المسلم بالصبر، مع العفو والصفح والمغفرة، ووجه كون الآية: تحث على الرقي

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص١٨٩).
(٢) انظر: لباب النقول للسيوطي (ص٢٣٨).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣٥٤١/٨)، تيسير الكريم الرحمن (ص١١٨٨).
(٤) انظر: التحرير والتنوير (٢٨٤/٢٨).

الأخلاقي: من جهة كونها جمعت بين هذه الصفات الثلاث سوياً، فالعفو: ترك المعاقبة على الذنب، والصفح: الإعراض عن المذنب وترك معاقبته، والغفر: ستر الذنب وعدم إشاعته والتعيير به(١).

كما حذرت المسلم من أن يحمله وصف العداوة على فعل ما لا يليق، فالمقصود: التحذير وأخذ الحيطة، مع عدم المؤاخذة والمعاقبة، وهذا السلوك فيه تحصيل للمصالح وتكميلها، ودفع للمفاسد وتقليلها.

ثالثاً: الرقي الأخلاقي حال الخلاف مع الإخوة:

إن نزغات الشيطان لا تفتأ تحوم حول الإنسان، حتى لربما أوقعت بينه وبين إخوته، وليس هذا بغريب، فأول قتل وقع، كان بين ابني آدم، كما ذكره الله تعالى في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّۘ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ ﴾ {المائدة:٢٧} إلى آخر الآيات.

فما دام أن هذا الأمر واقع، فإن في القرآن ما يصلح واقع الناس، لذا جاءت الهدايات القرآنية المرشدة للرقي الأخلاقي حال الخلاف بين الإخوة، بما يُحوّل العداوة إلى ألفة، والبغضاء إلى محبة، ومن الأمثلة على ذلك: ما وقع ليوسف عليه السلام مع إخوته، فقد تشاورا في قتله، ثم أجمعوا أمرهم على أن يلقوه في غيابة الجب، ثم شروه بثمن بخس دراهم معدودة، إلى غير ذلك من الأمور العظام التي قصها الله علينا في سورة يوسف.

ولكن يوسف عليه السلام لما أمكنه الله تعالى منهم، وجعل العاقبة له، امتثل الرقي الأخلاقي على أحسن وجه، وأجمل صورة، فكان عليه السلام جميل الخَلْق والخُلُق.

ومن رقيّه الأخلاقي عليه السلام أنه قَبِل اعتذارهم، ولم يثرّب عليهم،

(١) انظر: التحرير والتنوير (٢٨٥/٢٨).

وأعرض عن ذكر بعض أفعالهم، واكتفى ببعضها، ثم أتبع ذلك بالاستغفار لهم، وهذا بلا شك من أعظم الرقي الأخلاقي.

قال الله تعالى:﴿ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ {يوسف:٨٩-٩٢}، فلما أقسموا بالله أنه فَضّل يوسف عليه السلام عليهم، بالعلم والحلم والمكانة وغير ذلك، وأقروا بأنهم كانوا خاطئين بما فعلوا به =قال يوسف لهم: لا تثريب عليكم اليوم، أي: لا تعيير ولا عتب ولا لوم عليكم(١).

ففي الآية من الهدايات: فضل العفو عند المقدرة، ولاحظ سرعة عفو يوسف عليه السلام، فبمجرد إقرارهم له بالفضل، واعترافهم بالخطأ، بادرهم بالعفو، وترك اللوم والعتب؛ وهذا أمر لا يقدر عليه إلا النفوس الكبيرة.

ثم أعقب ذلك بسرعة الاستغفار لهم، في المجلس نفسه، وقد يلاحظ الفرق بين استغفار يوسف عليه السلام واستغفار يعقوب عليه السلام، فيوسف عليه السلام استغفر لهم حالاً، فقال: ﴿ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾؛ بينما يعقوب عليه السلام وعدهم بالاستغفار فقال: ﴿ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ ﴾ {يوسف:٩٨}، والفرق بينهما ظاهر.

فكانت عاقبة هذا الرقي الأخلاقي خير عاقبة، عليهم جميعاً، فجمع الله شملهم، وأعاذهم من نزغات الشيطان، وأصلح حالهم، وأقر بهم عيني والدهم يعقوب عليه السلام.

وفي هذه القصة نماذج كثيرة من الرقي الأخلاقي ليوسف عليه السلام،

(١) انظر: البسيط للواحدي (٢٣٧/١٢).

تستحق أن تفرد ببحث خاص.

المطلب الثاني: الهدايات القرآنية المؤثرة في الرقي الأخلاقي حال الخلاف مع المسلم البعيد:

أولاً: الخلاف مع المسلم المقاتل:

رغب الله سبحانه بالإصلاح بين المتخاصمين، لاسيما إن وصل الخصام إلى القتال، فقال سبحانه: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ ﴾ {الحجرات:٩}، ومن هدايات الآية: التذكير بالإخوة الإيمانية، فسماهم مؤمنين، حتى يردعهم الإيمان عن غيهم، ويعودوا إلى رشدهم، إذ من مقتضيات الإيمان ألا يقاتل المسلم أخاه.

ثم رغب سبحانه بالعفو والرقي الأخلاقي إن وقع قتل، فقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَىۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ {البقرة:١٧٨} .

فمن هدايات الآية: أن الله تعالى لم يسلبهم صفة الإخوة رغم حصول القتل، فقال: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ ﴾، فذكر القصاب الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الله تعالى لم يخرجه من اسم الأخوة مع أنه قد قتل، ولو كان القاتل كافراً لم يسمه أخاً، وللآية نظائر كثيرة في القرآن(١).

فالترغيب بالعفو عن القاتل من هدايات الآية، وهو من أسمى درجات الرقي الأخلاقي، وهو شاق على النفوس، إلا أن الله تعالى قد يوفق له من يشاء من عباده.

كذلك من هدايات الآية: الإرشاد إلى لزوم الأدب، قبل العفو وبعده،

(١) انظر: النكت الدالة على البيان (١/ ٤٨٥).

والانقياد لشرع الله، من كلا الطرفين، فالقاتل فُرض عليه الاستسلام لأمر الله تعالى، والانقياد للقصاص، وولي المقتول فُرض عليه الاقتصار على قتل القاتل، وترك التعدي إلى غيره، كما كانت العرب تفعله في جاهليتها(١)، فربما قتلت العرب غير القاتل، لأنه من قومه، وربما تجاوزت وقتلت بالرجل المقتول عدداً من رجال القاتل، فحرم الله تعالى ذلك، وأمرهم بالوقوف عن أوامره ﷻ، فالقصاص هو غاية التشاحن والخصام، كما أفاده ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢).

فإن حصل عفو من ولي المقتول، فقد تأكد لزوم الرقي الأخلاقي حينها، كما قال سبحانه: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾، أي: إذا عفا الأولياء: سقط القصاص، ووجبت الدية، ولزوم الرقي الأخلاقي ألا يُكلّف القاتل فوق الدية التي أوجبها الله عليه؛ ولزوم الرقي الأخلاقي من القاتل وعصبته: أداء ما فُرض عليه، من غير مماطلة ولا تأخير ولا إنقاص؛ فهل جزاء الإحسان بالعفو، إلا الإحسان بالقضاء(٣).

فأرشدت الآية في هداياتها: إلى ترك الإساءة القولية أو الفعلية، فعلى القاتل: حسن القضاء، وعلى أولياء المقتول: حسن الاقتضاء(٤)، وهذا من

(١) وكذلك يفعله بعض الناس اليوم، وهذا كله مخالف لتعاليم الشرع الحنيف، إذ قال الله تعالى: وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقال ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وقال: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ [المائدة: ٤٥] وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣)﴾ [الإسراء: ٣٣-٣٤].

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٦٤٧/١).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص١٦٣).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٦٥٣/١).

أسباب تأليف القلوب بين المؤمنين، وإزالة الشحناء بنيهم.

ثانياً: الخلاف مع المسلم غير المقاتل:

كما تقدم قبل قليل: يحث الله سبحانه على الإصلاح بين الناس، ويبين فضله، فيقول سبحانه: ﴿ ۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤ ﴾ {النساء:١١٤} أي: لا خير في كثير مما يتكلم به الناس ويتناجون إلا كلام ونجوى مَنْ أَمَرَ بصدقة أو معروف، أو إصلاح بين الناس؛ والإصلاح لا يكون إلا بين المتخاصمين، ومن يفعل هذا الفعل مخلصاً لله تعالى، محتسباً الأجر منه سبحانه فسوف يؤتيه الله ثواباً كثيراً واسعاً[1]، ففي الآية تربية اجتماعية عظيمة، واهتمام وتنويه بشأن هذه الثلاثة المذكورة، كما يقوله ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2].

فمتى ما وقع خلاف بين المسلمين، وثبت الحق لأحدهما، كان له الخيار، إما أن يقتص أو يعفو، وقد جاء الترغيب بالعفو بأسلوب بديع في قصة أبي بكر الصديق ﷺ مع مسطح بن أثاثة، في حادثة الإفك، فلما أُخبر أبو بكر ﷺ أن مسطحاً ﷺ ممن تكلم به، قال أبو بكر –وكان ينفق على مسطح لقرابته منه، وفقره–: «والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا ؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢ ﴾ {النور:٢٢} فقال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه؛ وقال: لا أنزعها

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٠١٧/٣).

(٢) التحرير والتنوير (١٩٨/٥).

منه أبدا»[١]، ولما نزلت الآية ببراءة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهدأت النفوس وطابت، وأقيم الحد على من تكلم، أخذ الله ﷻ يعطف أبا بكر ﷺ على قريبه مسطح ﷺ، فإنه كان مسكيناً لا مال له، وكان أبو بكر ﷺ مشهوراً بالمعروف، وله الفضل والأيادي على كثير من المساكين، فنزلت الآية ترشد إلى الرقي الأخلاقي، وتبين أن الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر عن المذنب، يغفر الله لك، وكما تصفح عنه، يصفح الله عنك[٢]، وهذا فضل عظيم، وترغيب كبير في الرقي الأخلاقي، في مثل هذه المواقف العصيبة التي تنازع النفس شهواتنا ورغباتها، فتحتاج إلى قهر وقوة وصبر.

ومن هدايات القرآن في هذا الشأن: الإرشاد على مقابلة السيئة بالحسنة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ {فصلت: ٣٤} فهذه الآية جاءت بعد قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ {فصلت:٣٣} لذا قال المفسرون: هذه الآية سيقت لبيان محاسن الأعمالِ الجارية بين العبادِ، بعد ذكر بيان محاسن الأعمال الجارية بين العبد وربه ﷻ [٣].

والمعنى: أنه لا تستوي الخَصلةُ الحسنة والخصلة السيئةُ في الآثار والأحكام وما يترتب على كل واحدة منها، وأنت مأمور أن تدفع السيئة بالحسنة لأنه يقلب العداوة إلى محبة، كما قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ

(١) رواه البخاري في "صحيحه" (٦/ ١٠١) رقم (٤٧٥٠) كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿لولا إذ سمعتموه﴾

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٦/٢٤٧٥).

(٣) إرشاد العقل السليم (٨/ ١٤).

وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ وتأمل الدفع المأمور به فإنه قال ﷻ: ﴿ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾، وهذه ليست كقوله : بالحسن أو بالحسنى، إنما بالتي هي أحسن، أي: أحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات، كالإحسان إلى من أساء، فإنه درجة أحسن من العفو المجرد؛ ويا له من رقي أخلاقي عظيم.

وهذه كقوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ {الإسراء:٥٣} فقد ذكر القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الله تعالى أمر المؤمنين فيما بينهم في هذه الآية، بحسن الأدب والإلانة القول، وخفض الجناح واطراح نزغات الشيطان(١).

فهذا التأديب الرباني من هدي القرآن للتي هي أقوم، وهديه إلى حل المشاكل، بأقوم الطرق وأعدلها، ومن ذلك هديه إلى حل الخلاف بين المسلمين، وحل المشكلة العظيمة فيه، وهي اختلاف القلوب، الذي هو من أعظم الأسباب في القضاء على كيان الأمة الإسلامية، لاستلزامه الفشل، وذهاب القوة، كما يقوله الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢).

(١) انظر: الجامع للقرطبي (١٠٣/١٣).
(٢) انظر: أضواء البيان (٥٣٧/٣).

المبحث الثاني: الهدايات القرآنية المؤثرة في الرقي الأخلاقي حال الخلاف مع غير المسلم:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الهدايات القرآنية المؤثرة في الرقي الأخلاقي حال الخلاف مع المستأمن والمعاهد والذمي:

إن هؤلاء المذكورين داخلون في الدماء المعصومة التي حرم الشارع الاعتداء عليها، قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمعصوم من بني آدم أربعة أصناف: المسلم، والذمي، والمعاهَد، والمستأمِن[1]، فهذه أربعة أنفس معصومة لا يجوز لأحد أن يعتدي عليها»[2].

ودِيننا -بحمد الله-دين رحمة، وجاءت تعاليمه بما يؤلف القلوب، ويرغبها في الدخول فيه، ودين عدل وإنصاف، فلا تزر وازرة وزر أخرى، ولا يؤاخذ الإنسان بجريرة غيره.

وجاءت الهدايات القرآنية بالتوجيه إلى امتثال الرقي الأخلاقي حال الخلاف مع الكافر المعاهد والمستأمن والذمي، وأعظم ذلك: أن يعامل بالعدل، فلا يُظلم شيئاً، ولا يحملنا خلافنا معه في دينه، أن نبخسه حقه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ {المائدة:٨}، أي: أدوا الشهادة بالعدل لا بالظلم والجور، ولا يحملنكم بُغْض القوم على ترك العدل معهم، فالعدل

---

(١) الذمي: هو الذي عقد له ذمة، يعيش بين المسلمين ويبذل الجزية، والمعاهد: الذي بيننا وبينه عهد وهو في بلاده، والمستأمِن: الذي أمَّناه في بلادنا فدخل لتجارةٍ ونحوها، سواء كانت جلباً أو أخذاً. انظر: الشرح الممتع (١٤/٣٦).

(٢) الشرح الممتع (١٠/ ٣١٨).

مطلوب مع الصديق والعدو، فاعدلوا مع الجميع، فالعدل أقرب إلى تقوى الله ﷻ، وابتغوا الأجر في هذه المعاملة العادلة فإن الله خبير بما تعملون وسيجازيكم عليه أعظم الجزاء.

وسيرة نبينا ﷺ فيها دروس وعبر، ولا غرو، فقد كان خلقه القرآن، وكان خير من يمتثل أوامر الله تعالى، ومن ذلك: حين عاد الغلام اليهودي، مع ما كان يفعله اليهود مع المسلمين، من غدر وخيانة وتآمر، ولكن رسول الله ﷺ لم يؤاخذ هذا الغلام بفعل بني جلدته، وكان همه إنقاذه من النار، فعن أنس ﷺ قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: ((أسلم)). فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: ((الحمد لله الذي أنقذه من النار))[1].

وقد رأينا في تاريخنا المشرق، كيف امتثل السلف الصالح هذا الرقي الأخلاقي مع غير المسلمين، وكيف أثر فيهم، حتى دخل كثير منهم في الإسلام.

كذلك من الهدايات القرآنية ما أرشد الله تعالى إليه بقوله: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ {الإسراء:٥٣}، فقد قيل: هو أن يقول للكافر إذا تشطط: هداك الله! يرحمك الله!، وقيل: هي عامة في المؤمن والكافر، كما ذكره القرطبي[2].

ومن الهدايات ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ

(١) رواه البخاري في "صحيحه"(٢/ ٩٤) رقم (١٣٥٦) كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي.

(٢) انظر: الجامع للقرطبي (١٠٣/١٣).

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ {الأنعام:١٠٨}، قال أهل التفسير: الآية محكمة، وحكمها باق في هذه الأمة على كل حال، فمتى كان الكافر في منعة، وخِيف أن يسب الله ﷻ، أو الإسلام أو النبي ﷺ فلا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك، لأنه بمنزلة البعث على هذا الجرم العظيم، والتهييج عليه، وهذا السب لآلهة غير المسلمين يقودهم إلى سب إلهكم أيها المؤمنون(١).

ومن الهدايات القرآنية: الإرشاد إلى الإحسان إليهم، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ {الممتحنة:٨} أي: لا ينهاكم الله تعالى عن الإحسان إلى الكفار، والقسط أي: العدل معهم، وبرهم بأنواع البر، لاسيما الضعفة منهم، كالأطفال والنساء، فإن هذا من الأعمال الصالحة التي يحبها الله سبحانه، لذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ لما في ذلك من تأليف قلوبهم، وتحبيب الإيمان لهم، لعله أن يقودهم إلى دخول الإسلام، ويجب على المسلم أن يكون هذا هو الباعث له على الإحسان والبر.

وسبب نزولها: أن أسماء بنت أبي بكر الصديق -رضي الله عنها- وعن والدها- قد قدمت إليها أمُّها قُتيلة بهدايا وهي مشركة فأبت أسماء أن تقبل منها، فسألت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا النبيَّ ﷺ فنزلت هذه الآية (٢).

وعن أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «أتتني أمي راغبة في عهد النبي ﷺ فسألت النبي ﷺ: آصلها؟ قال: ((نعم))؛ قال ابن عيينة: فأنزل الله تعالى

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٣٤٥/٣).

(٢) رواه الطبري في "تفسيره" (٥٧٢/٢٢)، وأصله في الصحيحين كما في الحديث الآتي وانظر: لباب النقول (ص٢٣٤).

فيها: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ ﴾ الآية»[1].

وقد قال بعض أهل التفسير عن هذه الآية: إنها منسوخة بآية السيف، وهي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ {التوبة:٥}، ولكن هذا القول مرجوح، لذا حكى القرطبي عن أكثر أهل التأويل أنها محكمة [2]، فربنا سبحانه لا ينهى عن بر أهل العهد، من الكافرين، ولا ينهى عن معاملتهم بالعدل[3]، ففيها رخصة من الله ﷻ في صلة الذين لم يكن بينهم وبين المسلمين عداوة، أو إعانة للكفار على المسلمين.

ومن اللطائف والهدايات ما اختاره ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أن معنى ﴿ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ أي: تعطوهم قسطاً من أموالكم على وجه الصلة، وليس المراد به العدل، لأن العدل واجب مع من قاتل أو لم يقاتل[4].

واستدل بها ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ على جواز الوقف على الكافر الذمي لأن صلته مشروعة[5].

---

(١) رواه البخاري (٤/٨) رقم (٥٩٧٨)كتاب الأدب، باب صلة الوالد المشرك؛ ومسلم (٧٩/٢) رقم (١٠٠٣) كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين.

(٢) انظر: الجامع للقرطبي (٤٠٨/٢٠).

(٣) انظر: فتح القدير للشوكاني (٢٨٣/٥).

(٤) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١٧٨٥/٤).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٣٠/٣١). وأما مسألة الوقف على الذمي فلم يشترط جمهور الفقهاء في الموقوف عليه أن يكون مسلما، وبناءً عليه: أجازوا الوقف على الذمي، لأن الكافر يملك ملكا محترم، ويجوز أن يُتصدق عليه، فجاز الوقف عليه، ولأن الوقف ليس لأجل دينه وإنما لفقره وقرابته، فإن كان الوقف لأجل دينه فلا يجوز. انظر: شرح منتهى الإرادات (٤٠١/٢).

المطلب الثاني: الهدايات القرآنية المؤثرة في الرقي الأخلاقي حال الخلاف مع الكافر الحربي:

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بآداب سامية حال السلم وحال الحرب كذلك، فلم تجعل الحرب مسوغاً للظلم ولا للخيانة ولا للاعتداء ولا لإقصاء مظاهر الرحمة من أرض المعركة، وهذا واضح في الحديث الصحيح عن بريدة ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أَمَّر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال)، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم...»[(١)]، وقد بوّب له النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : بـ: باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها؛ وقال في شرحه: «وفي هذه الكلمات من الحديث فوائد مجمع عليها، وهي تحريم الغدر، وتحريم الغلول، وتحريم قتل الصبيان إذا لم يقاتلوا، وكراهة المثلة، واستحباب وصية الإمام أمراءه وجيوشه بتقوى الله تعالى، والرفق بأتباعهم، وتعريفهم ما يحتاجون في غزوهم، وما يجب عليهم، وما يحل لهم، وما يحرم عليهم، وما يكره وما يستحب»[(٢)]، فليست العداوة والحرب والقتال مسوغاً لأن ينسلخ المسلم من آدابه الإسلامية، ويستبيح من عدوه ما حرّمه الله عليه.

ومن الهدايات القرآنية ما أشار إليها المفسرون والفقهاء عند قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ

(١) وراه مسلم في "صحيحه" (٥/ ١٣٩) رقم (١٧٣١) كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها.

(٢) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٣٧).

﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ {الأنفال:٤١} فمما قالوا -رحمهم الله-: إذا أراد الإمام قسمة الغنائم نظر فيها: فإن كان فيها مالٌ لمسلم أو لذمي دفعه إليه[١]، وهذا يُقدم على قسمة الغنائم على المجاهدين، فانظر إلى هذا العدل والرقي الأخلاقي الذي حُفظ معه المال لصاحبه، وإن لم يكن مسلماً، وقُدّم إعطاؤه له قبل أصحاب الشأن، على جلالة قدرهم، وعظيم عملهم.

ومما قالوه كذلك: إذا شارك غيرُ المسلم في القتال مع المسلمين، فيعطيه الإمام من الغنائم، إما أن يرضخ لهم رضخاً[٢] أو يُسهم لهم سهماً على خلافٍ بين أهل العلم، ذكره القرطبي عند هذه الآية[٣].

ومن الهدايات ما يؤخذ من قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ {الأنفال:٥٨} أي: وإما تخافنّ من قوم غشاً أو خديعة أو نقضاً للعهد، وبينك وبين عهد، فانبذ إليهم عهدهم، وقل لهم: نبذتُ إليكم عهدكم وفسخت العهد الذي بيننا، ليعلموا ذلك، وتكون أنت وإياهم في العلم سواء، فيأخذوا للحرب آلتها، وتبرأ أنت مع الغدر[٤]، ولا تقاتلهم وبينك وبينهم عهد وهم يثقون بك، فتصدر منك خيانة وغدر، فهذا لا يليق بأهل الإسلام، وليست الخيانة من أخلاقهم، حتى ولو كان في حق الكافرين، فإن الله سبحانه لا يحبها، كما يقوله ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥].

ففي الآية: رقي أخلاقي ظاهر، على خلاف ما تمليه الأنفس

(١) انظر: الشرح الكبير لابن أبي عمر (٢٢٥/١٠)
(٢) الرضخ: هو العطاء الذي ليس بالكثير وهو دون الغنيمة. انظر: المصباح المنير للفيومي (ص١٩١) مادة رضخ.
(٣) انظر: الجامع للقرطبي (٣١/١٠).
(٤) انظر: جامع البيان (٢٣٨/١١).
(٥) تفسير ابن كثير (١٦٠١/٤).

وأهواؤها، فإن النفس بطبيعتها إذا خافت من عدو ترصدت له وأحبت أن تتكّل به وأن توقع به أشد الهزيمة، لكن الله تعالى أدّب أهل الإسلام، فكانت هذه الهدايات القرآنية، عظيمةً في مبدئها ومنتهاها، كما هي عظيمة في معناها ومبناها، كما قال النحاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا من معجز ما جاء في القرآن، مما لا يوجد في الكلام مثله، على اختصاره وكثرة معانيه»(١).

ومن الهدايات ما أشار إليه ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ {آل عمران:١٣} من أن القتال يجب أن يكون في سبيل الله، أي: في طريق الله الذي شرعه، وفي حدود ما أذنت به شريعة الله ﷻ، بحيث لا يكون في القتال عدوان على أحد، فإن كان فيه عدوان على أحد فإنه ليس في سبيل الله، مثل أن نقاتلهم وبيننا وبينهم عهد، فهذا ليس قتالًا في سبيل الله، بل هو معصية لله ﷻ؛ لأن الله تعالى نهى أن نقاتل في حال العهد(٢).

ومن الهدايات ما في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ {طه:٤٤} قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في هذه الآية عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أُمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين... وأن دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين قريب سهل، ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع»(٣)؛ فمهما بلغ المخالف من درجات العتو والتكبر، فلن يكون كفرعون، ومع ذلك: فإن الداعية المسلم مأمور بلزوم الرقي الأخلاقي في الخطاب والأسلوب والتعامل، لأنه يعامل الخلق، ونظره إلى الخالق سبحانه، وقد انتزع من

(١) إعراب القرآن للنحاس (٦٨٢/٢).
(٢) تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين (١/ ٧٧).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢٢٧٦/٥).

حظوظ نفسه، وابتعد عن التشفي والانتقام، وكان همه الأعظم هداية الخلق إلى الحق، وهذا هو الحريّ بالتوفيق والسداد.

ومن الهدايات القرآنية ما أشارت إليه الآية الكريمة وهي قوله تعالى : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾ {البقرة:٨٣} فقد نصّ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن هذا أمر بالإحسان إلى الناس عموماً، وليس خاصاً بالمسلمين، ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماله ولا يقدر على ذلك، أُمر بما يقدر عليه، وهو الإحسان إليهم بالقول، ويتضمن ذلك: النهي عن الإساءة والكلام القبيح، حتى مع الكفار، وهذا من تأديب الله تعالى لعباده، فالإنسان مأمور بأن يكون نزيهاً في أقواله وفي أفعاله، غير فاحش ولا بذيء ولا مخاصم ولا مشاتم، بل يكون واسع الحلم، حسن الخلق، مجاملاً بغير باطل، صبوراً على ما يناله من الأذى، كل ذلك: امتثالاً لأوامر الله تعالى، واقتداء بنبيه ﷺ [(١)].

وردّ الرازيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)] قول من قال: إنها خاصة بالمؤمنين، واختار أن العموم باق على ظاهره، ولا حاجة إلى التخصيص، وبيّن أن هذا القول هو الأقوى، وأن هذه الآية: يدخل تحتها جميع آداب الدين والدنيا، لأن كلام الناس مع الناس إما أن يكون في أمور الدين، أو في أمور الدنيا، أما أمور الدنيا: فمن المعلوم أنه إذا أمكنه التوصل إلى غرضه باللطف من القول، لم يحسن له سواه.

وأما في أمور الدين: فإما أن يكون في دعوة الكفار إلى الإيمان، أو دعوة الفساق إلى الطاعة، والدعوة لابد أن تكون بالقول الحسن لجميع المدعوّين كما دلت عليه آيات كثيرة، فثبت أن هذه الآية عامة، وعموم

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص١٢٨).
(٢) انظر: التفسير الكبير (٥٨٨/٣).

المخاطب فيها ظاهر، ولا مخصص له. والله تعالى أعلم.

ومن جميع ما تقدم يتبين لنا: أن السير على الرقي الأخلاقي، وامتثال مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، قد جاء في القرآن بأقوم الطرق وأعدلها.

والحض على مكارم الأخلاق، ومحاسن العادات، كثير جدًا في كتاب الله سبحانه، وفي سنة نبيه ﷺ، ولذلك لما سئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خلقه ﷺ قالت: «كان خلقه القرآن»(١)؛ لأن القرآن اشتمل على جميع مكارم الأخلاق؛ والله تعالى يقول في وصف نبيه ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ {القلم:٤}؛ فدلت الآية، وحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على أن المتصف بما في القرآن من مكارم الأخلاق: أنه يكون على خلق عظيم، وذلك لعظم ما في القرآن، من مكارم الأخلاق، كما أشار إليه الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ(٢).

كما أن من هدايات القرآن العظيمة فيما يتعلق بالرقي الأخلاقي: أن يعلم الإنسان أن معاملة الناس تكون على درجتين: إما عدل وإنصاف واجب، وهو: يأن يأخذ الواجب، ويعطي الواجب.

وإما فضل وإحسان، وهو أن يعطي ما ليس بواجب، وأن يتسامح في بعض الحقوق، وكذلك يكون مع الغض مما في النفس، وكما قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : «فلا ينبغي للإنسان أن ينسى هذه الدرجة، ولو في بعض الأوقات، وخصوصا لمن بينك وبينه معاملة، أو مخالطة، فإن الله مجاز المحسنين بالفضل»(٣).

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه أحمد في "المسند" (٤١/ ١٤٨) رقم (٢٤٦٠١) وصححه محققو المسند، والألباني في "صحيح الأدب المفرد" (ص١٢٩).

(٢) انظر: أضواء البيان (٥٣٦/٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص١٨٩).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه مادامت الأرض والسموات، وبعد، فأحمد الله تعالى وأشكره على ما منّ به من إتمام هذا البحث، فما كان فيه من صواب فمنه وحده سبحانه، ومن كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله ﷺ منه بريئان.

وقد خرجت منه ببعض النتائج والتوصيات.

أهم النتائج:

١. أن الإنسان مأمور بالتزام الرقي الأخلاق في جميع حالاته، مع جميع الناس، وأن الآيات الآمرة بذلك محكمة غير منسوخة، وعامة باقية على عمومها على الراجح من قولي أهل العلم.
٢. أن القرآن هو دستور الأخلاق، وأن هداياته إلى الأخلاق أكمل الهدايات وأشملها، وقد شملت جميع جوانب الحياة.
٣. أن الهدايات القرآنية أشارت إلى حلول مشاكل الناس العامة والخاصة، وأرشدت إليها بأقوم الطرق، وأن لها أثراً بالغاً في المجتمع.

أهم التوصيات:

درس الباحث أجزاء هذا البحث باختصار، بناءً على تستلزمه طبيعة مثل هذه البحوث المحكمة، والمحددة –نظاماً– بصفحات معينة، ولذا يرى أن بعضها يستحق أن يفرد بالدراسة، ومن ذلك ما يأتي:

١. دراسة الهدايات القرآنية المؤثرة في الرقي الأخلاقي في قصص الأنبياء عليهم السلام، ومن الأمثلة على ذلك: الهدايات القرآنية الواردة في قصة موسى عليه السلام ، وقصة يوسف عليه السلام .
٢. دراسة الهدايات القرآنية المؤثرة في الرقي الأخلاقي في تعامل المسلم مع أسرته.
٣. دراسة الهدايات القرآنية المؤثرة في الرقي الأخلاقي في تعاملات المسلم المالية.
٤. دراسة الهدايات القرآنية المؤثرة في الرقي الأخلاقي في تعامل المسلم مع الأعداء والمخالفين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع:

١. أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبدالله ابن العربي، تحقيق: علي بن محمد البجاوي (ط١، بيروت، دار المعرفة).
٢. إرشاد العقل السليم، لأبي السعود محمد العمادي، (ط٤، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٤هـ).
٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، إشراف: بكر بن عبدالله أبو زيد، (ط١، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٦هـ).
٤. إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: د.زهير غازي زاهد، (ط١، بغداد، مطبعة المعاني، ١٣٩٧هـ)
٥. البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، تحقيق: ماهر حبوش وآخرين، (ط١، بيروت، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٦هـ).
٦. البسيط، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، (ط١، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ).
٧. تاج العروس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: د.سمير شمس، (ط١، بيروت، دار صادر، ٢٠١١م).
٨. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، (ط١، تونس، دار سحنون).
٩. التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية،٢٠٠٩م).
١٠. تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: د.محمد إبراهيم البنا، (ط١، بيروت، دار ابن حزم، ١٤١٩هـ).
١١. التفسير الكبير، للفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، تحقيق: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، (ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي).

١٢.تفسير سورة آل عمران، لمحمد بن صالح ابن عثيمين، (ط١، القصيم، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٣٦هـ).
١٣.تفسير سورة الفرقان، لمحمد بن صالح ابن عثيمين، (ط١، القصيم، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٣٦هـ).
١٤.تفسير سورة النور، لمحمد بن صالح العثيمين، (ط١، بريدة، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ١٤٣٦هـ).
١٥.التمهيد، ليوسف بن عبدالله ابن عبدالبر، ضمن موسوعة شروح الموطأ. تحقيق: د.عبدالله التركي، (ط١، القاهرة، مركز هجر، ١٤٢٦هـ).
١٦.تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبدالسلام هارون، راجعه: محمد علي النجار، (ط١، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية).
١٧.تيسير الكريم الرحمن، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، مطبوع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ السعدي، تحقيق: قسم تحقيق التراث بدار الميمان، توزيع: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، (ط٣، الرياض، دار الميمان، ١٤٤٤هـ).
١٨.جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، (ط١، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٤هـ).
١٩.جامع الترمذي "سنن الترمذي"، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: عصام موسى هادي، (ط٢، الجبيل، دار الصديق، ١٤٣٦هـ).
٢٠.جامع العلوم والحكم، لعبدالرحمن بن أحمد ابن رجب، تحقيق: طارق عوض الله، (ط٢، الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٢٠هـ).
٢١.الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، (ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ).
٢٢.سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، (ط١، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ).

٢٣.الشرح الكبير، لأبي أبي عمر محمد عبدالله بن أحمد ابن قدامة، تحقيق: د.عبدالله التركي، (ط٢، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٦هـ).
٢٤.شرح المعلقات السبع، للحسين بن أحمد الزوزني، (ط١، بيروت، مكتبة المعارف، ١٤٢٥هـ).
٢٥.شرح النووي على صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي، (ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ)
٢٦.صحيح ابن حبان (المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع)، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي، تحقيق: محمد علي سونمز، وخالص آي دمير، (ط١، بيروت، ابن حزم، ١٤٣٣هـ).
٢٧.صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، عناية: محمد زهير الناصر، (ط١، بيروت، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).
٢٨.صحيح الترغيب والترهيب، لمحمد ناصر الدين الألباني، (ط١، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٢١هـ).
٢٩.صحيح السيرة النبوية، لمحمد ناصر الدين الألباني، (ط١، عمّان، المكتبة الإسلامية،
٣٠.صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري، عناية: محمد زهير الناصر، (ط١، بيروت، دار طوق النجاة، ١٤٣٣هـ).
٣١.فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: د.عبدالرحمن عميرة، (ط٣، مصر، دار الوفاء، ١٤٢٦هـ).
٣٢.لباب النقول في أسباب النزول، لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، (ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٠١٢م).
٣٣.لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، (ط١، بولاق: المطبعة الأميرية، ١٣٠٠هـ).
٣٤.المحرر الوجيز، لعبدالحق بن عطية الأندلسي، (ط١، بيروت، دار ابن حزم،١٤٢٣هـ).

٣٥.المختصر في التفسير، إعداد: مركز تفسير للدراسات القرآنية، (ط٢، الرياض، مركز تفسير، ١٤٣٦هـ).
٣٦.المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: الفريق العلمي لمكتب خدمة السنة، (ط١، دمشق، دار المنهاج القويم، ١٤٣٩هـ).
٣٧.المسند، لأحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، (ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).
٣٨.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد الفيومي، تحقيق: عادل مرشد، (ط١، الرياض، توزيع: وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد).
٣٩.المصنف، لأبي بكر عبدالله بن محمد ابن أبي شيبة، تحقيق: حمد الجمعة، محمد اللحيدان، (ط٢، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٧هـ).
٤٠.معالم التنزيل، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: د.عثمان جمعة ضميرية وآخرين، (ط٢، الرياض، دار طيبة، ١٤٢٧هـ).
٤١.مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (ط٣، دمشق، دار القلم، ١٤٢٣هـ).
٤٢.مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (ط١، بيروت، دار الجيل، ١٤٢٠هـ).
٤٣.نكت القرآن الدالة على البيان، لمحمد بن علي الكرجي القصاب، تحقيق: أ.د.علي بن غازي التويجري وآخرين، (ط١، الدمام، دار ابن القيم، ١٤٢٤هـ).

sources and references

1. The Rulings of the Qur’an, by Abu Bakr Muhammad ibn Abdullah ibn al-Arabi, edited by: Ali ibn Muhammad al-Bajawi (1st ed., Beirut, Dar al-Ma’rifah).
2. 'iirshad aleaql alsulimi, li'abi alsueud muhamad aleamadii, (ta4, bayrut, dar 'iihya' alturath alearabii, 1414h).
3. 'adwa' albayan fi 'iidah alquran bialqurani, limuhamad al'amin bin muhamad almukhtar aljaknii alshanqiti, 'iishrafi: bikr bin eabdallah 'abu zayd, (ta1, alrayad, dar ealam alkutub, 1426h).
4. 'iierab alqurani, li'abi jaefar 'ahmad bin muhamad alnuhas, tahqiqu: di.zahir ghazi zahid, (ta1, baghdad, matbaeat almaeani, 1397hu)
5. albahr almuhiti, li'abi hayaan muhamad bin yusif bin hayaan al'andalsi, tahqiqu: mahir hibush wakhrin, (ta1, birut, dar alrisalat alealamiati, 1436h).
6. albisiti, li'abi alhasan eali bin 'ahmad alwahidi, tahqiqu: majmueat min albahithina, (ta1, alrayad, jamieat al'iimam muhamad bin sueud al'iislamiati, 1430h).
7. taj alearus, limuhamad murtadaa alhusayni alzubaydi, tahqiqu: di.smir shamsa, (ta1, birut, dar sadir, 2011ma).
8. altahrir waltanwiru, limuhamad altaahir abn eashur, (ta1, tunus, dar sihnun).
9. altaerifati, liealiin bin muhamad aljirjani, tahqiqu: muhamad basil euyun alsuwdu, (ta3, bayrut, dar alkutub aleilmiati,2009mu).
10. tafsir alquran aleazimi, li'iismaeil bin eumar bin kathirin, tahqiqu: du.muhamad 'iibrahim albanaa, (ta1, bayrut, dar abn hazma, 1419h).
11. altafsir alkabiru, lilfakhr alraazi, muhamad bin eumar bin alhasan bin alhusayni, tahqiqu: maktab tahqiq dar

'iihya' alturath alearabii, (ta1, bayrut, dar 'iihya' alturath alearabii).
12. tafsir surat al eimran, limuhamad bin salih aibn euthaymin, (ta1, alqasima, muasasat alshaykh muhamad bin salih aleuthaymin alkhayriati, 1436h).
13. tafsir surat alfirqan, limuhamad bin salih abn euthaymin, (ta1, alqasima, muasasat alshaykh muhamad bin salih aleuthaymin alkhayriati, 1436h).
14. tafsir surat alnuwr, limuhamad bin salih aleuthaymin, (ta1, buridat, muasasat alshaykh muhamad bin salih aleuthaymin, 1436h).
15. altamhidi, liusif bin eabdallah aibn eabdalbar, dimn mawsueat shuruh almuata. tahqiqu: da.eabdallah alturki, (ta1, alqahirat, markaz hijr, 1426h).
16. tahadhib allughati, muhamad bin 'ahmad al'azhari, tahqiqu: eabdalsalam harun, (ta1, di.n).
17. taysir alkarim alrahman, lieabdalrahman bin nasir alsaedi, matbue dimn majmue mualafat alshaykh alsaedi, tahqiqa: qism tahqiq alturath bidar almiman, tawziei: muasasat alshaykh muhamad bin salih aleuthaymin alkhayriati, (ta3, alrayad, dar almiman, 1444h).
18. jamie albayan ean tawil ay alqurani, limuhamad bin jarir altabri, tahqiqu: da.eabdallah bin eabdalmuhsin alturki, (ta1, alrayad, dar ealam alkutub, 1424h).
19. jamie altirmidhii "sunan altirmidhii", limuhamad bin eisaa altirmadhi, tahqiqu: eisam musaa hadi, (ta2, aljibil, dar alsidiyq, 1436h).
20. jamie aleulum walhakmi, lieabdalrahman bin 'ahmad aibn rajaba, tahqiqu: tariq eawad allah, (ta2, aldamaam, dar abn aljuzi, 1420h).
21. aljamie li'ahkam alqurani, li'abi eabdallah muhamad bin 'ahmad alqurtubi, tahqiqu: da.eabdallah bin eabdalmuhsin alturki, (ta1, bayrut, muasasat alrisalati, 1417h).

22.salsilat al'ahadith alsahihati, muhamad nasir aldiyn al'albani, (ta1, alrayad, maktabat almaearifi, 1415h).
23.alsharh alkabiri, li'abi 'abi eumar muhamad eabdalllh bin 'ahmad aibn qadamat, tahqiqu: da.eabdallah alturki, (ta2, alrayad, dar ealam alkutub, 1426h).
24.sharh almuealaqat alsabea, lilhusayn bin 'ahmad alzuwzani, (ta1, bayrut, maktabat almaearifi, 1425h).
25.sharh alnawawiu ealaa sahih muslim (alminhaj sharh sahih muslim bin alhajaju), limuhyi aldiyn yahyaa bin sharaf alnawwii, (ta2, bayrut, dar 'iihya' alturath alearabii, 1392hi)
26.sahih aibn hibaan (almusnad alsahih ealaa altaqasim wal'anwaei), li'abi hatim muhamad bin hibaan bin 'ahmad altamimii albusty, tahqiqu: muhamad eali sunmz, wakhalis ay dimir, (ta1, bayrut, aibn hazma, 1433h).
27.sahih albukhari, limuhamad bin 'iismaeil albukhariu, einayatu: muhamad zuhayr alnaasir, (ta1, bayrut, dar tawq alnajati, 1422hi).'ahkam alqurani, liaibn alfurs, eabd almuneim bin eabd alrahimi, tahqiq da.tih bin eali bu sarih wakhrin, (ta1, bayrut, dar aibn hazma, 1427h).
28.sahih altarghib waltarhibi, limuhamad nasir aldiyn al'albani, (ta1, alrayad, maktabat almaearifi, 1421h).
29.sahih alsiyrat alnabawiati, limuhamad nasir aldiyn al'albani, (ta1, emman, almaktabat al'iislamiati,
30.sahih muslimin, limuslim bin alhajaaj alqushayri, einayatu: muhamad zuhayr alnaasir, (ta1, bayrut, dar tawq alnajati, 1433h).
31.fath alqudir, limuhamad bin ealii alshuwkani, tahqiqu: da.eabdalrahman eumayrata, (ta3, masr, dar alwafa'i, 1426h).
32.lbab alnuqul fi 'asbab alnuzuli, lijalal aldiyn eabdalrahman bin 'abi bakr alsuyuti, tahqiqu: eabdalrazaaq almahdi, (ta1, bayrut, dar alkutaab alearabii, 2012ma).

33.lisan alearbi, muhamad bin makram abn manzurin, (ta1, bulaq: almatbaeat al'amiriati, 1300h).
34. almuharir alwujiz, lieabdalhaqi bin eatiat al'andalsi, (ta1, birut, dar abn hazam,1423h).
35.almukhtasar fi altafsiri, 'iiedadu: markaz tafsir lildirasat alquraniati, (ta2, alrayad, markaz tafsiri, 1436h).
36. almustadrak ealaa alsahihayni, li'abi eabd allah muhamad bin eabd allah alhakimi, tahqiqu: alfariq aleilmii limaktab khidmat alsanati, (ta1, dimashqa, dar alminhaj alqawimi, 1439h).
37.almusandi, li'ahmad bin muhamad bin hanbal, tahqiqu: shueayb al'arnawuwt wakhrin, (ta1, bayrut, muasasat alrisalati, 1421h).
38.almisbah almunir fi gharayb alsharh alkabiri, li'ahmad bin muhamad alfayuwmi, tahqiqu: eadil murshid, (ta1, alrayad, tawziea: wizarat alshuwuwn al'iislamiat waldaewat wal'iirshadi).
39. almusanafi, li'abi bakr eabdallah bin muhamad aibn 'abi shibata, tahqiqu: hamd aljumeat, muhamad allihaydan, (ta2, alriyad, maktabat alrishdi, 1427h).
40.maealim altanzili, lilhusayn bin maseud albaghuay, tahqiqu: du.ethaman jumeat damiriat wakhrin, (ta2, alrayad, dar tibti, 1427h).
41.mufradat 'alfaz alqurani, lilraaghib al'asfahani, tahqiqu: safwan eadnan dawudi, (ti3, dimashqa, dar alqalama, 1423h).
42.maqayis allughati, li'ahmad bin faris bin zakaria, tahqiqu: eabdalsalam muhamad harun, (ti1, birut, dar aljili, 1420h).
43.nakat alquran aldaalat ealaa albayan, limuhamad bin ealii alkarjii alqasabi, tahqiqu: 'a.da.eali bin ghazi altuwijri wakhrin, (ta1, aldamaam, dar abn alqimi, 1424h).